اسرائيل والتسوية السياسية

الدكتور صادق جلال العظم

في ١٦ شباط ١٩٧١ قام مندوب الجمهورية العربية المتحدة في هيئة الامم وممثلها في المفاوضات غير المباشرة الجارية يومها مع اسرائيل تحت اشراف الدكتور يارينغ بتسليم الوسيط الدولي مذكرة جوابية رسمية كانت بمثابة رد على مذكرة مهمة كان قد وجهها يارينغ نفسه الى كل من مصر والاردن واسرائيل حول تحقيق التسوية لما أصبح يسمى في هذه الايام « بالنزاع في الشرق الاوسط » . وأثناء عملية التسليم علق مندوب ج ع م على هذه المناسبة بقوله « ان اللحظة الراهنة تاريخية » . ووصفت بعض الاوساط الرسمية العربية المذكرة الجوابية المصرية «بأنها ايجابية» فيما يتعلق باحتمالات التسوية السلمية للنزاع العربي الاسرائيلي ، وبالنسبة لما تضمنته من التزامات بهذا الشأن . وبعد مضي بضعة اسابيع على هذه الحادثة نشرت النصوص الرسمية للمذكرات المشار اليها وتبين ان المذكرة الجوابية المصرية نصت على موافقة الجمهورية العربية المتحدة على عقد اتفاقية سلام مع اسرائيل مباشرة ، وقبولها بقوات دولية تشارك الدول الاربع الكبرى في تأليفها وتوضع على طرفي الحدود ، بالاضافة الى تأمين الضمانات الدولية اللازمة لسلامة الحدود « الآمنة والمعترف بها » بين اسرائيل والدول العربية ، كما نص على ذلك قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ . كل ذلك مقابل الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة في حرب حزيران ١٩٦٧ . ومن ناحية أخرى ، وفي ٤ نيسان ١٩٧١ ألقت غولدا مائير خطابا أمام المؤتمر الوطني لحزب العمال الاسرائيلي الحاكم ردت فيه بوضوح صارخ على البادرة المصرية حول معاهدة السلام وتوابعها المذكورة . أعلنت مائير في خطابها ان اسرائيل لن تتخلى عن القدس والجولان وشرم الشيخ وأنها ترفض ضمانات الدول الكبرى وترفض الضمانات الدولية للحدود « الآمنة المعترف بها » بما في ذلك فكرة القوات الدولية على الحدود .

كيف نفسر هذا التصلب الاسرائيلي الشديد ؟ لماذا تفوّت اسرائيل على نفسها هذه الفرصة الذهبية للحصول على معاهدة سلام مباشرة مع ج ع م على أقل تعديل وتأمين حدود آمنة ومعترف بها ومضمونة دوليا بالاضافة الى حرية الملاحة في الممرات المائية العربية كما ينص على ذلك قرار مجلس الامن وتنص عليه المذكرة المصرية الجوابية المشار اليها ؟ الجواب المتداول حاليا وخاصة في الاوساط الرسمية العربية هو ان اسرائيل تريد الارض ولا تريد السلام . نعم ، ولكن هذا ليس كل ما في الامر . توجد اعتبارات أخرى تدفع باسرائيل باتجاه التصلب ، وهي من صميم الاستراتيجية الاسرائيلية كما أنها بأهمية الارض بالنسبة لاسرائيل ان لم تفقها قليلا في الاهمية في بعض الاحيان . وليس علينا ان نذهب بعيدا في البحث عن هذه الاعتبارات المهمة ، لان غولدا مائير أشارت اليها بوضوح في خطابها الذي أشرت اليه . قالت رئيسة وزراء العدو ما يلي في ايضاح الدوافع الكامنة خلف الرفض الاسرائيلي لكافة المقترحات المصرية التي